الاستقلال؟ والجلاء!؟ عودة الى حميد فرنجية

بقلم الدكتور نبيل الطويل

هنالك محطات كبرى في تاريخ لبنان المعاصر:

-مرور ٨٠ سنة على قيام الدولة اللبنانية (١٩٢٠-٢٠٠٠).

-مرور ٥٧ سنة على نيل لبنان الاستقلال (١٩٤٣-٢٠٠٠).

-مرور ٥٤ سنة على جلاء الجيوش الاجنبية (١٩٤٦-٢٠٠٠).

هذه المحطات الوطنية الكبرى الثلاث: قيام الدولة اللبنانية، ثم الاستقلال واستكمال السيادة من خلال جلاء جميع القوات الاجنبية تشكل وفي الظروف المريرة التي يعاني منها وطننا الحالي، حافزا للتأمل ومحركا للقيام بعمل ما للنهوض بلبنان من تحت الردم والركام.

لا سيادة لدولة الا اذا كانت حرة التصرف في علاقاتها بالدول الاخرى. ومن المسلم به ان خضوع لبنان في جميع شؤونه الداخلية والخارجية لارادة دولة اخرى، يتناقض مع مفهوم السيادة والاستقلال. "السيادة لا تقبل التخلي او التنازل لأحد والسيادة لا تقبل التجزئة. فهي اما ان تكون او لا تكون" Rousseau .J.J.

لقد عصفت بلبنان حروب ضارية، ومكثت فيه جيوش عدة: "صديقة"، "عدوة"، و"شقيقة". الصديقة فرنسية او ايطالية او اميركية.. جاءت ثم ذهبت. العدوة اندحرت بفضل المقاومة. أما الجيوش الشقيقة السورية فطال وجودها حتى أصبح بقاؤها يشكل تهديدا لكيان لبنان وسيادته وهوية شعبه. أضحى الهدف الاول للبنانيين جلاء القوات السورية. والمطلب هذا يدور لا حول مبدأ الجلاء الذي لم يعد قابلا للتفاوض، بل حول كيفية الجلاء وتاريخه، وقد حدد سقف هذا المطلب البطريرك مار نصرالله بطرس صفير في ٢٠٠٠./٩/٢٠

واذا سلمنا بأن لبنان دولة مستقلة وهو عضو في الامم المتحدة، واذا فهمنا (وكان من الصعب على البعض فهم ذلك) ان استقلال لبنان يحتاج لضمان مفهوم استقلاله الى حل محدد، لوجدنا ان الحل هو الجلاء ولا حل سواه.

رحم الله حميد فرنجيه الذي جسد في سلوكه ومواقفه وافكاره المصالح العميقة لشعب لبنان. لقد أكد حميد فرنجيه في أول تقرير امام مجلس النواب بعد تعيينه وزيرا للخارجية في حكومة سامي الصلح (٣ ايلول ١٩٤٥) مفهوم السيادة وآلية الوصول اليها، اذ قال "نحن نريد ان تجلو جميع الجيوش عن بلادنا دون استثناء لنتمتع بسيادتنا الكاملة". وبمواجهة التيارات التي كانت تسعى لابدال نفوذ بآخر (وعن الدكتور عصام خليفة) أكد فرنجيه مرة اخرى مطلبه الاوحد: "نحن نطلب جلاء الجيوش وكل الجيوش ولا نعطي امتيازات لأحد. واذا فتحنا الباب ففي وجه الجميع، واذا اغلقناه ففي وجه الجميع ايضا (مجلس النواب ١٣ كانون الاول ١٩٤٥).

"لقد جسد حميد فرنجيه مع قلة من رفاقه وفي طليعتهم رياض الصلح روح الشعب اللبناني وكرامته وعنفوانه" (الحركة الثقافية – انطلياس).

وكأنه يستبق الامور وكأنه يعيش ما نعانيه الان من قهر، فقال في ٢٤ كانون الاول ١٩٤٥: "على الدول الصديقة ان تضع نصب أعينها هذه الحقيقة: لن يقبل لبنان يوما الا ان يكون مستقلا سيدا عزيزا حرا". وكأنه ايضا يسمع ما سوف يردده بعض أصحاب السيادة عام ٢٠٠٠. فيستبق اقوالهم في برقية عام ١٩٤٥، الى مفوضية لبنان في باريس: "يرفض

لبنان ان يكون ممرا لعمل ضد استقلال البلاد العربية الصديقة ولرفضه هذا شرط واحد اساسي: الجلاء التام وتمتع لبنان باستقلاله وسيادته كاملين".

واذا بهذا القائد الوطني "يلخص طريق الحرية والسيادة بقوله (٣١ كانون الاول ١٩٤٦) "لم يمت من مات دفاعا عن المسيحية وانتصارا للاسلام، بل للدفاع عن فكرة قومية استقلالية صحيحة هي ان يعيش لبنان حرا مستقلا".

نعم... لم يمت من مات، منذ اندلاع حروب الاخرين على ارض لبنان، دفاعا عن الموارنة او انتصارا للشيعة او دعما للسنّة او حفاظا على الدروز، بل دفع لبنان اكثر من مئة الف شهيد وأكثر من ٥٠ الف معاق وجريح، وآلاف المهجرين من اجل الحرية والسيادة والاستقلال.

ان نيل لبنان الاستقلال عام ١٩٤٣، واكتمال الجلاء عام ١٩٤٦، ليسا حدثا تاريخيا ونهاية مرحلة، بل هما هاجس واقعي للبنان الوطن الحاضر.

نحن في هذه السنة نطالب بعد ٨٠ عاما على قيام الدولة و٥٨ عاما على الاستقلال و٥٤ عاما على الجلاء، نطالب إجلالا للذين سقطوا ووفاء لحميد فرنجيه ورياض الصلح... نطالب بالاستقلال وبجلاء كل الجيوش عن أرض الوطن.

ان مشكلة اللبنانيين سيادتهم لا ارتهانهم واستقلالهم لا تعايشهم. ومشكلة اللبنانيين حقوق انسانهم لا عروبة لسانهم.

ولعلنا في ذكرى الاستقلال هذه نتعهد مسلمين ومسيحيين وضمن الحوار وتحت راية اخلاقيات الحرية بأن:

- نكسر طوق العجز المكتسب الذي يسجننا فيه اصحاب التسلط.
- نعمل جاهدين للتحرر من عقدة الرهينة وذهنيات الدمى والتبعية.
- ونسعى متوحدين لتحرير أمراء الحرب والهيمنة من العقدة التي تدفعهم للتضحية بمواطنيهم ارضاء لمشاريعهم ولمآربهم... وإكراما للباب العالي.
- (النهار ٢٠٠٠/١١/١٩)